﴿قَالَ نَكِّرُواْ لَهَا عَرْشَهَا نَنظُرْ أَتَهْتَدِيٓ أَمْ تَكُونُ مِنَ ٱلَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٤١﴾ فَلَمَّا جَآءَتْ قِيلَ أَهَٰكَذَا عَرْشُكِۖ قَالَتْ كَأَنَّهُۥ هُوَۚ وَأُوتِينَا ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ ﴿٤٢﴾ وَصَدَّهَا مَا كَانَت تَّعْبُدُ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ إِنَّهَا كَانَتْ مِن قَوْمٍ كَٰفِرِينَ ﴿٤٣﴾ قِيلَ لَهَا ٱدْخُلِي ٱلصَّرْحَۖ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَاۚ قَالَ إِنَّهُۥ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَۗ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٤﴾﴾ [النّمل: 41 - 44]

❁ مُناسَبَةُ الآياتِ لِما قَبْلَها:

رَبْطُ إحضارِ العرش، باختبارِها فيه، وإظهارُ الآياتِ المُفْضِيَةِ إلى إسلامِها

بعد أن أورد النّظم الجليل طلب سليمان مِنْ مَلَئِهِ مَن يأتوه بالعرش، وطوى خبر إحضاره، على وفْقِ ما قال الّذي لديه علم من الكتاب، أن يكون عنده قبل طَرْفِ عينه، فلمّا حضر العرش من فوره، بيّن السّياقُ ما طلب سليمان من خدمه أن يفعلوا بالعرش، وبيّن ما قاله لملكة سبأٍ بعد أن قَدِمَتْ إليه، وما انتهى إليه أمرها من الإيمان بسليمان ودعوته وإسلامها لله رَبِّ العالمين[1].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿نَكِّرُواْ﴾: (نكر) أَصْلٌ يَدُلُّ عَلَى خِلافِ المَعْرِفَةِ الَّتي يَسْكُنُ إِلَيْها القَلْبُ[2]، والنَّكِرَةُ إنكارُك الشَّيْءَ، وهوَ نَقيضُ المَعْرِفَة. ونَكِرَ الأَمرَ نَكيرًا وأَنْكَرَه إنْكارًا ونُكْرًا: جَهِلَهُ. ويُقالُ: أَنْكَرْتُ الشَّيْءَ وأَنا أُنْكِرُه إنكارًا، والنَّكيرُ: اسْمُ الإنْكارِ الَّذي مَعْناهُ التَّغْييرُ. وفي التَّنْزيلِ العَزيزِ: ﴿فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٤٤﴾﴾ [الحج: 44]، أَي إنكاري. وقَدْ نَكَّرَه

(1) طنطاويّ، التّفسير الوسيط: 10/ 327.
(2) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (نكر).

فتَنَكَّرَ أَي غيَّرَه فتَغَيَّرَ إلى مجهولٍ[1]، وتَنْكيرُ الشَّيْءِ من حيثُ المعنى جَعْلُه بحيث لا يُعْرَفُ، قال تعالى: ﴿نَكِّرُواْ لَهَا عَرْشَهَا﴾، وتعريفُه جَعْلُه بحيث يُعْرَفُ[2].

2) ﴿ٱلصَّرْحَ﴾: (صرح) أَصْلٌ مُنْقاسٌ يَدُلُّ عَلَى ظُهورِ الشَّيْءِ وبُروزِهِ. والصَّرْحُ: بَيْتٌ واحِدٌ يُبْنَى مُنْفَرِدًا ضَخْمًا طَويلًا في السَّماءِ. وكُلُّ بِناءٍ عالٍ فَهوَ صَرْحٌ[3]. والصَّرْحُ، القَصْرُ والصَّحْنُ؛ يقال: هذه صَرْحةُ الدّارِ وقارِعَتُها أَي ساحَتُها وعَرْصَتُها، والصَّرْحُ: الأَرض المُلَسَّةُ. والصَّرْحةُ: مَتْنٌ مِنَ الأَرض مُسْتَوٍ. والصَّرْحةُ مِنَ الأَرض: ما اسْتَوَى وظَهَرَ؛ يُقالُ: هُمْ في صَرْحةِ المِرْبَدِ وصَرْحةِ الدّارِ، وهوَ ما اسْتَوَى وظَهَرَ[4]. والصَّرْحُ: بيتٌ عالٍ مُزَوَّقٌ سُمّيَ بذلك اعتبارًا بكونه صَرْحًا عن الشَّوب أي: خالصًا. قال الله تعالى: ﴿صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَا﴾، ﴿قِيلَ لَهَا ٱدْخُلِي ٱلصَّرْحَ﴾[5]، والمراد به في الآية الكريمة القصر[6].

3) ﴿لُجَّةً﴾: (لجّ/ لجج): أَصْلٌ يَدُلُّ عَلَى تَرَدُّدِ الشَّيْءِ بَعْضِهِ عَلَى بَعْضٍ، وتَرْديدُ الشَّيْءِ. ومِنه: لُجُّ البَحْرِ، وهوَ قاموسُهُ، وكَذَلِكَ لُجَّتُهُ، لِأَنَّهُ يَتَرَدَّدُ بَعْضُهُ عَلَى بَعْضٍ[7]. والملاجة: التّمادي في الخصومة. رجُلٌ لُجَجَة، ويُلَجْلِجُ المضغة في فمه، أي يردِّدها فيه للمضغ. واللجْلُجة، والتّلَجْلُج: التردُّد في الكلام. يقال: الحقّ أَبْلَجُ والباطل لَجْلَجٌ، أي يُردَّد من غير أن ينفُذ[8]. ولَجَّةُ الصّوت بفتح اللّام: تردُّدُه، ولُجَّةُ البحر بضمِّ اللّام: تردُّدُ أمواجه، ولُجَّةُ اللّيل بالضمّ أيضًا: تردُّدُ ظلامه، قال تعالى: ﴿فِي بَحْرٍ لُّجِّيٍّ﴾ [النّور: 40] منسوب إلى لجّة البحر[9].

4) ﴿مُّمَرَّدٌ﴾: (مرد) أَصْلٌ يَدُلُّ عَلَى تَجْريدِ الشَّيْءِ مِنْ قِشْرِهِ أَوْ ما يَعْلوهُ مِنْ شَعْرِهِ. والأَمْرَدُ: الشّابُّ لَمْ تَبْدُ لِحْيَتُهُ. ومَرِدَ يَمْرَدُ. ومَرَّدَ الغُصْنُ تَمْريدًا: أَلْقَى عَنْهُ لِحاءَهُ فَتَرَكَهُ

(1) ابن منظور، اللّسان: (نكر).
(2) الرّاغب، المفردات: (نكر).
(3) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (صرح).
(4) ابن منظور، اللّسان: (صرح).
(5) الرّاغب، المفردات: (صرح).
(6) البِقاعيّ، نظم الدُّرر: 14/ 171.
(7) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (لجّ).
(8) الجوهريّ، الصّحاح: (لجج).
(9) الرّاغب، المفردات: (لجّ).

أَمْرَدَ، ومِنْهُ شَجَرَةٌ مَرْداءُ[1]. المَرْدُ: ثمر الأراك الغضُّ منه، ورملة مَرْداءُ: لا نبتَ فيها، وغُصن أمْرَدُ: لا ورق عليه، وفرسٌ أمْرَدُ: لا شعر على ثُنَّتِه، وغلامٌ أمْرَدُ بيِّنُ المَرَد بالتّحريك. وتَمريدُ البناء: تمليسه، وتَمريدُ الغصن: تجريده من الورق[2]. وقوله: ﴿مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَا﴾، أي: مملّس. من قولهم: شجرةٌ مَرْداءُ: إذا لم يكن عليها ورق[3]، والمراد به في الآية الكريمة أنّه مملّس[4].

5) ﴿قَوَارِيرَا﴾: (قرّ/ قرر) أصلٌ يدلّ على ثَباتِ ما شأنُه التّسيّب وامتساكُه في قاع عميق[5]. والقُرّ: القَرار في المَكانِ، تَقولُ قَرِرْتُ بالمَكانِ، أَقَرُّ قَرارًا وقَرَرْتُ أَيضًا، أَقِرُّ قَرارًا وقُرورًا، وقَرَّ بالمَكانِ[6]، القَرارُ: المستقرُّ من الأرض، والقَرارَةُ: القاع المستدير. والقارورة: واحدة القوارير من الزّجاج[7]. والقارورة سُمّيَتْ لاستقرار الماءِ فيها، قال تعالى: ﴿صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَا﴾. والقارورة المرأةُ شُبِّهَتْ بالزُّجاج لرقَّتِها، ونظافتها، وسرعة انكسارها[8]، والمراد به في الآية الكريمة أنّه زجاج، فهو يتّصف بشفوفة الماءِ، حتّى يُظَنَّ أنْ لا حائلَ دون هذا الماء[9].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

يخبر النّظم الكريم أنّ سليمان عليه السلام، قال لمن عنده: غيِّروا عرشها الّذي تجلس عليه، اختبارًا لها، وذلك لنرى أتهتدي إلى معرفته، أم تكون من الّذين لا يهتدون. فلما جاءت الملكة إلى سليمان، ودخلت

اختبار الملكة بعرشها، وحسن جوابها، وإسلامها لربّ العالمين

(1) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (مرد).
(2) الجوهريّ، الصّحاح: (مرد).
(3) الرّاغب، المفردات: (مرد).
(4) البِقاعيّ، نظم الدُّرر: 14/ 171.
(5) محمّد جبل، المعجم الاشتقاقيّ: (قرر - قرقر).
(6) ابن منظور، اللّسان: (قرر).
(7) الجوهريّ، الصّحاح: (قرر).
(8) الفيروزآباديّ، بصائر ذوي التّمييز: (قرّ).
(9) البِقاعيّ، نظم الدُّرر: 14/ 172.

مجلسه قيل لها: أهكذا عرشك؟ قالت: إنّه يشبهه. فظهر حسن جوابها، وظهر لها من تلك الآيات، قدرة اللّه وصِحّةُ نبوّة سليمان، فعلمت الحقّ، وقد مَنَعَها عن عبادة اللّه وحده، والإسلام إليه، ما كانت تعبده مِن دون اللّه تعالى، ممّا ورثته من قومها الكافرين، عند ذلك قيل لها: اُدْخُلي القصرَ، وكان صحنُه مِن زجاج، تحته ماء، فلمّا رأته حسبته لجّة، فكشفت ثوبها عن ساقيها، لتخوض الماء، فقال لها سليمان: إنّه صرح من زجاج والماء يجري تحته. فأدركت عظمة ملك سليمان، وقالت: ربّ إني ظلمت نفسي بشركي، وأسلمت مع سليمان لربّ العالمين[1].

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغيُّ:

عِلَّةُ فَصْلِ الجملة عن السّابق:

فَصَلَ النّظم الجليل الجملة، في قوله جلّ شأنه: ﴿قَالَ نَكِّرُواْ لَهَا عَرْشَهَا﴾، لأنّها مستأنَفَةٌ سيقَتْ لبيان تمام المحاورة، بين سليمان عليه السلام وبين مَلَئِهِ، وأغنى ورودُها في الحوار عن حرف العطف.

تمام الحوار يُغني عن رَبْطِ الجُمَلِ بالعاطف

دلالة التعبير بالتّنكير:

عبّر النّظم الجليل بفعل التّنكير في قوله جلّ شأنه: ﴿نَكِّرُواْ لَهَا عَرْشَهَا﴾، للدّلالة على تغيير هيئة العرش بوجه من الوجوه، بحيث لا يكون كهيئته السّابقة، وهو من التّنكير المضادّ للتّعريف، والغرض من هذا الأمر اختبارها في الذّكاء والفطنة، وحسن الرّدّ، وذلك بمفاجأتها بعرض عرشها الّذي خَلَّفَتْهُ وراءها في بلادها[2].

سِرّ تغيير هيئةِ العرش حتّى لا يكون معروفًا لها

دلالة اللّام في شبه الجملة ﴿لَهَا﴾:

عبّر النّظم الجليل بحرف الجرّ اللّام، في قوله جلّ شأنه: ﴿نَكِّرُواْ لَهَا عَرْشَهَا﴾، للدّلالة على التّعليل، أي غَيِّروا العرشَ لأجلها، فيكون مقصود

(1) جماعة من العلماء، التّفسير الميسّر: 1/ 380.

(2) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 6/ 287، وطنطاويّ، التّفسير الوسيط: 10/ 327 - 328.

التّنكير واقعًا عليها، وهذا يدلّ على أنّه يجب أن يكون تنكيرًا خاصًّا؛ لأنّه عرشها، وهي تعرفه، فيكون التّنكير بصورة خاصّة لها، لِما لها من معرفة خاصّة به، وتنكيرُه نزعُ فُصوصِه ومَرافِقِه عنه، وما كان عليه من شيء يميّزه، ولكنّ الهيكل والملامح العامّة بقيت كما هي، ومع ذلك اهتدت إليه، ولكنّها تحفّظت في الجواب، فقالت بلغة الاحتراس والتّحفّظ: ﴿كَأَنَّهُۥ هُوَۚ﴾، وهذا جواب حكيم، يَدُلُّ عن حِنْكَةٍ، وحُسْنِ جوابٍ.

غاية تنكير العرش التّمويه على الملكة في اختبارها

غرض تقديم ﴿لَهَا﴾ على ﴿عَرْشَهَا﴾:

قدّم النّظم الجليل، شبه الجملة على المفعول به، في قوله جلّ شأنه: ﴿قَالَ نَكِّرُواْ لَهَا عَرْشَهَا﴾، لأنّها هي المقصود من التّنكير، فاهتمّ بها، ولأنّ المعلوم لدى السّامع أنّ التّنكير سيقع على العرش، فأرجأ ذكرَه لِعِلْمِ المُتَلقّي به.

تقديم المقصود بالتّنكير، وهو صاحبة العرش

سرُّ استعمال ﴿نَنظُرْ﴾ دون (نَرَى):

آثر النّظم الكريم التّعبير بالنّظر دون الرّؤية في قوله جلّ شأنه: ﴿نَنظُرْ أَتَهْتَدِيٓ أَمْ تَكُونُ مِنَ ٱلَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ﴾، لأنّ النّظر لا يراد به البصر، بل العلم وتحقّق الإدراك، فإنّ النّاظر يطلب ظُهور "الشَّيْء بإدراكه من جِهَة حاسة بصرِهِ أَو غَيرِها من حواسّه"[1]. أمّا رؤية العرش مستقرًّا فتحقّقت بالرّؤية العينيّة.

النّظر إدراكُ المعلومِ بالحواسّ، لا بالبصر وحسب

غرض الاستفهام في قوله تعالى: ﴿أَتَهْتَدِيٓ﴾:

عبّر النّظم الجليل بأسلوب الاستفهام، في قوله جلّ شأنه: ﴿نَنظُرْ أَتَهْتَدِيٓ أَمْ تَكُونُ مِنَ ٱلَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ﴾، لبيان المراد من تغيير هيئة العرش، وهو اختبار قدرتها في الاهتداء من عدمه.

معرفة اهتدائها من عدمه، هو المراد من الاختبار

بلاغة استعمال ﴿أَتَهْتَدِيٓ﴾ في السّياق:

آثر النّظم الكريم التّعبير بلفظ الهداية، في قوله جلّ شأنه: ﴿نَنظُرْ أَتَهْتَدِيٓ أَمْ تَكُونُ مِنَ ٱلَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ﴾، لأنّهم لمّا غيّروا

(1) العسكريّ، الفروق، ص: 76.

هيئة العرش، وكانت معرفته تحتاج إلى توفيق ودراية وتَمَعُّنٍ، عبّر عن تلك المعرفة بالاهتداء؛ لأنّه تَعَرُّفٌ يقع بسبب علاماتٍ ودلائلَ، أي هل ستهتدي إلى معرفتِه أو معرفة الجوابِ اللّائقِ بالمقام[1]. وجاء التّعبير بصيغة الافتعال، وبالفعل المضارع للدّلالة على تَكَلُّفِ الهداية والاجتهاد، في السّعي لبلوغها، وتجديد ذلك الجُهْد.

تحقيق المعرفة بالدّلائل هدايةٌ وتوفيق

بلاغة ذكر الفعل ﴿تَكُونُ﴾:

عبّر النّظم الجليل بفعل الكون، في قوله جلّ شأنه: ﴿أَمْ تَكُونُ مِنَ ٱلَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ﴾، لما في فعل الكون من دلالةٍ على رسوخ الصّفة، وهو هنا يدلّ على أنّها إذا لم تهتَدِ بهذه الآيات، فإنّها راسخة في الضّلال بحيث لا يمكن لها الاهتداء.

انتفاء الاهتداء متأتٍّ عن رسوخ الضّلال

دلالة الحرف ﴿مِنَ﴾ في السّياق:

عبّر النّظم الجليل بحرف الجرّ ﴿مِنَ﴾، في قوله جلّ شأنه: ﴿نَنظُرْ أَتَهْتَدِىٓ أَمْ تَكُونُ مِنَ ٱلَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ﴾، وهي دالّة هنا على التّبعيض، أي بعض الّذين لا يهتدون، بأن تكون واحدة منهم.

التّبعيض لونٌ من الاحتراز من تعميم الحكم

دلالة استعمال ﴿ٱلَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ﴾:

آثر النّظم الكريم، التّعبير بالاسم الموصول، في قوله جلّ شأنه: ﴿أَمْ تَكُونُ مِنَ ٱلَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ﴾، دون أن يقول: (أمْ لا تَهْتَدي)؛ لأنّ ذلك أبلغ في انتفاء الاهتداء[2]، فَكَوْنُ الفردِ في جماعة مُتّصفة بصفة ما، يدلّ على شدّة اتّصافه بها حتّى استحقّ أن يُعدّ منهم.

كـونُ المـرءِ من جماعة مُتّصفة بـصـفـة مـا؛ يـدلّ عـلى شـدّة اتّصافه بها

دلالة الفاء في قوله: ﴿فَلَمَّا جَآءَتْ﴾:

افتتح النّظم الجليل الجملة، بالفاء، وهي دالّة على تعقيب ما بعدها على ما قبلها، في قوله جلّ شأنه: ﴿فَلَمَّا جَآءَتْ قِيلَ أَهَٰكَذَا عَرْشُكِ﴾، وذلك للدّلالة على سرعة مجيئها وخضوعها له[3].

توجيه السّؤال لها عن عرشِها وقـعَ وشيـكًـا عَقِبَ وصولِها

(1) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 6/ 287.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 19/ 273.
(3) المراغيّ، تفسير المراغيّ: 19/ 143.

فائدة بناء فعل ﴿قِيلَ﴾ للمفعول:

آثر النّظم الكريم التّعبير بالفعل المبني للمجهول، في قوله جلّ شأنه: ﴿قِيلَ أَهَٰكَذَا عَرْشُكِ﴾، لأنّ المراد من السّياق، بيان السّؤال والاهتمام به لا من حيث كونُه مِنْ قائلٍ معيّنٍ، فليس من فائدة بيانيّة أو دلاليّة للتّعريف بقائل هذا القول، ولأنّ الغرض في السّياق بيان السّؤال لا السّائل.

بيان أنّ السّياق قائم على الاهتمام بالسّؤال، لا بالسّائل

غرض الاستفهام ﴿أَهَٰكَذَا﴾:

عبّر النّظم الجليل بالاستفهام في قوله جلّ شأنه: ﴿أَهَٰكَذَا عَرْشُكِ﴾، للسّؤال عن معرفتها من خلال مماثلة العرش الّذي أمامها لعرشها الّذي خلَّفَتْه وراءَها، وإنّما قَصَدَها بالسّؤال دون أَنْ يتركها تتنبّه مِن تلقائها للمماثلة؛ لأنّه أراد اختبار قولها وجوابها، باضطرارها للتّعبير عمّا ترى من التّماثل.

الاستفهام يحقّق المراد من موضوع الاختبار

غرض استعمال اسم الإشارة ﴿أَهَٰكَذَا﴾:

آثر النّظم الكريم استعمال اسم الإشارة الدّالّ على القريب، في قوله جلّ شأنه: ﴿أَهَٰكَذَا عَرْشُكِ﴾، لقرب العرش منها ولكونه حاضرًا في مكان المخاطبة. قال مقاتل: "عَرَفَتْهُ، ولكنّها شَبَّهَتْ عليهم، كما شَبَّهوا عليها، وقيل: اشتبه الأمر عليها، فلم تقل (نعم) ولا (لا)، خوفًا من الكذب، فعرف سليمان عقلها، حيث لم تُقِرَّ ولم تُنْكِرْ"[1].

مراعاة ظروف المشهد وملابساته في انتقاء الألفاظ

بلاغة استعمال كاف التّشبيه ﴿أَهَٰكَذَا﴾:

استعمل النّظم الجليل كاف التّشبيه، في قوله جلّ شأنه: ﴿أَهَٰكَذَا عَرْشُكِ﴾، دون أن يقول: (أهذا عرشك)، لأنّ ذلك سيكون إرشادًا لها وتلقينًا، فيذهب المقصود من اختبارها[2]، ولأَنّ ذلك يفوّت ما قَصَدَ به تغيير الهيئة، وتحقيق الاشتباه.

التّشبيه يثير الاشتباه، والسّؤال المباشر يتضمّن تلقينًا للجواب

(1) تفسير المراغيّ: 7/ 119.

(2) طنطاويّ، التّفسير الوسيط: 10/ 328.

نكتة إضافة العرش لضمير المخاطبة:

الإشارة إلى مغزى السّؤال عن المماثلة في العرش المعروض عليها

أضاف النّظم الجليل لفظ العرش إلى ضمير المخاطبة، في قوله جلّ شأنه: ﴿أَهَٰكَذَا عَرۡشُكِۖ﴾، لأنّ المقصود بالمماثلة هو عرشها، كما أنّ فيه إشارةً إلى علم سليمان بحال عرشها، وأنّه يعرف شكله، بحيث إنّ الموضوع أمامها هو عينه، وأنّ سليمان يعرف هذه المماثلة.

بلاغة الرّدّ في استعمال كاف التّشبيه: ﴿كَأَنَّهُۥ﴾:

من الفطنة والرّويّة تَجَنُّبُ اليقين في الإجابة الارتجاليّة

عبّر النّظم الجليل في جملةِ جوابها بادِئًا بأداة التّشبيه (كأنّ)، في قوله جلّ شأنه: ﴿قَالَتۡ كَأَنَّهُۥ هُوَۚ﴾، فقد أجابت بالتّشبيه، لأنّ السّؤال وقع بالتّشبيه كذلك: ﴿أَهَٰكَذَا عَرۡشُكِۖ﴾، فأوردت كلامها خاليًا من النّفي والإثبات، مَبْنيًّا على الظّنّ والتّشبيه، وذلك ليتناسب الجواب مع السّؤال[1]، وفي ذلك يقول أبو السّعود: "فَأَنْبَأَتْ عن كمالِ رجاحةِ عقلِها، حيثُ لم تقُلْ هو هو، مع علمِها بحقيقةِ الحالِ، تلويحًا بما اعتراهُ بالتَّنكير، من نوعِ مغايرةٍ في الصِّفاتِ، مع اتّحادِ الذاتِ، ومراعاةً لحسنِ الأدبِ في محاورتِه"[2].

دلالة (الواو) في قوله ﴿وَأُوتِينَا﴾:

إيتاءُ سليمانَ العلمَ مِنْ تمام فضلِ الله تعالى عليه

عَطَفَ النّظم الجليل جملةَ ﴿وَأُوتِينَا ٱلۡعِلۡمَ مِن قَبۡلِهَا﴾ على جملةٍ محذوفةٍ هي المعطوف عليه، دلّ عليها السّياق كما قال أهل التّفسير، والتّقدير: (أوتيَتْ مِنْ أَمْرِ عَرْشِها عِلْمًا وأوتينا العِلْمَ مِنْ قَبْلِها)[3]، وقال مفسِّرون آخرون: يمكن أن يكون قوله جلّ شأنه: ﴿هَٰذَا مِن فَضۡلِ رَبِّي﴾، هو المعطوف عليه، ويكون ما بينهما اعتراضٌ[4].

نكتة بناء فعل ﴿وَأُوتِينَا﴾ للمفعول:

عظمة العلم المُؤْتَى تكفي في معرفة أنّ الفاعل هو الله تعالى

آثر النّظم الكريم التّعبير بصيغة الفعل المبنيّ للمفعول، في قوله

(1) طنطاويّ، التّفسير الوسيط: 10/ 328.
(2) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 6/ 288.
(3) البِقاعيّ، نظم الدُّرر: 14/ 168.
(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 19/ 273.

جلّ شأنه: ﴿وَأُوتِينَا ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهَا﴾، دون أن يقول: (وآتانا اللّهُ العلمَ)؛ وذلك لأنّ الفاعل معلومٌ لا يُجْهَلُ، وهو الله تعالى؛ لأنّ العلم الّذي لدينا لا يَقْدِرُ على إيتائه غيرُ الله[1]، وأفاد ذلك الإيجازَ والاقتصادَ في التّعبير.

دلالة (أل) في لفظ ﴿ٱلْعِلْمَ﴾:

عرّف النّظم الجليل، لفظ ﴿ٱلْعِلْمَ﴾ بالألف واللّام، في قوله جلّ شأنه: ﴿وَأُوتِينَا ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ﴾، للدّلالة على الجنس، أي جميع ما آتانا الله عِلْمَه[2]، أو المراد به العلم المعهود الّذي لاحَظَتْهُ بِلْقيسُ فيما يتعلّق بشأن العرش وغيره من العلوم الّتي لدى سليمان وجيشه ومَلَئِهِ.

بيان جنس العلم، ومتعلَّقات الحكم والحكمة والقوّة

بلاغة قيد ﴿مِن قَبْلِهَا﴾:

قيّد النّظم الجليل إيتاء العلم في قوله جلّ شأنه: ﴿وَأُوتِينَا ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهَا﴾، بأنّه كائن من قبلها؛ للدّلالة على القبليّة الزّمانية، أي أنا وأسلافي عريقون في العلم من قبل وجودها، فلذلك نحن على حقيقة من جميع أمورنا[3]، ويجوز أن يكون المراد بها القبليّة الاعتباريّة، وهي تفوّقه عليها في المزايا والفضل، أي نحن أوسع علمًا، وأكثر تفوّقًا فيه، فبلغنا فيه ما لم تبلغْه[4].

مكانة العلم حاصلة قبل علمها وإيمانها

دلالة الواو، في قوله ﴿وَكُنَّا مُسْلِمِينَ﴾:

عطف النّظم الجليلُ قولَه جلّ شأنه: ﴿وَكُنَّا مُسْلِمِينَ﴾، على الجملة في قوله تعالى: ﴿وَأُوتِينَا ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهَا﴾ بالواو العاطفة، وفائدة العطف بيان سبب العلم وعلّة اتّساعه[5]، وفيه زيادة لبيان فضلهم عليهم بالإسلام بعد الأفضليّة بالعلم.

بيان تفوّق سليمان بالعلم، وسَبْقُه إلى الإسلام

(1) البِقاعيّ، نظم الدُّرر: 14/ 169.
(2) البِقاعيّ، نظم الدُّرر: 14/ 169.
(3) البِقاعيّ، نظم الدُّرر: 14/ 169.
(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 19/ 274.
(5) البِقاعيّ، نظم الدُّرر: 14/ 169.

بلاغة ذكر ﴿وَكُنَّا﴾ عوض (ونحن مسلمون):

بيان أنّ شأنهم في الإسلام قديم راسخ فيهم

آثر النّظم الكريم التّعبير بفعل الكون دون الوصف المباشر في قوله جلّ شأنه: ﴿وَكُنَّا مُسْلِمِينَ﴾، فلم يقل: (ونحن مسلمون)؛ وذلك للدّلالة على اتّصافهم بالإسلام منذ القدم، ودوامهم عليه[1].

دلالة الواو في قوله: ﴿وَصَدَّهَا﴾:

كـونُـهـا غـيرُ مسلمة لوجود آلـهـة مـوروثـة عَبَدَتْها

صدّر النّظم الجليل الجملةَ بالواو الاستئنافيّة، في قوله جلّ شأنه: ﴿وَصَدَّهَا مَا كَانَت تَّعْبُدُ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾، فالجملة مستَأْنَفَةٌ[2]، والاستئنافُ بيانيّ، جيء به لبيان الأسباب الّتي صدّتها ومنعتها من أن تكون مسلمةً قبل ذلك[3].

بلاغة المجاز بإسناد الصّدّ إلى المعبودات:

المـعـبـودات من دون الله تعالى سـبـبٌ صـدّ النّاس

أسند النّظم الجليل فعل الصّدّ إلى الاسم الموصول الدّالّ على المعبود من دون الله تعالى في قوله جلّ شأنه: ﴿وَصَدَّهَا مَا كَانَت تَّعْبُدُ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾، على طريقة المجاز العقليّ، أي صَدَّها مَعْبودُها من دون الله عن الإسلام، والمعبود لا يَصُدُّ، ولكنّه سببُ صدِّها عن التّوحيد[4].

دلالة ﴿مَا﴾ في قوله: ﴿مَا كَانَت﴾:

المعبود من دون الله وعبادتُه يورثان الضّلال ويَصُدّان عن الحقّ

عبّر النّظم الجليل بـ ﴿مَا﴾، في قوله جلّ شأنه: ﴿وَصَدَّهَا مَا كَانَت تَّعْبُدُ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾، وهي صالحة أن تكون موصولة، والتّقدير: (صدّها الّذي كانت تعبده من دون الله)، أي ذات الإله الّذي عَبَدَتْهُ من دون الله تعالى، وهو الشّمس، ويَصِحُّ أن تكون مصدريّة، أي: (صدّها عبادةُ الشّمس، عن أن تكون مسلمة في السّابق)[5].

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 19/ 274.
(2) محمود صافي، الجدول في إعراب القرآن: 10/ 174.
(3) طنطاويّ، التّفسير الوسيط: 10/ 329.
(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 19/ 274.
(5) طنطاويّ، التّفسير الوسيط: 10/ 329.

بلاغة الجمع بين الماضي ﴿كَانَت﴾ والمضارع ﴿تَّعۡبُدُ﴾:

جمع النّظم الجليل بين فعل الكون الماضي والفعل المضارع، في قوله جلّ شأنه: ﴿وَصَدَّهَا مَا كَانَت تَّعۡبُدُ﴾، للدّلالة على رسوخ العبادة منذ القدم ووراثتها، وأنّها عبادة متجدّدة، فدلّ الماضي والمضارع، على تأكيد هذه الصّفة وتجدّدها فيها، تبعًا لانحدارها من أولئك القوم. وتأكيدُ كونِها كذلك فيه ثناء على إيمانها وإسلامها مع سليمان، فهي تخلّت عن موروثٍ عريق راسخ نشأت عليه منذ الصّغر وآمنت بالله تعالى الواحد.

بيان أنّ من صفات ملكة سبأ وراثةَ الشّرك والدّوامَ عليه

دلالة ﴿مِن﴾ في السّياق المحكم:

عبّر النّظم الجليل بالحرف ﴿مِن﴾، في قوله جلّ شأنه: ﴿تَّعۡبُدُ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ﴾، وهي دالّة هنا على الابتداء، أي عبادتها مبتدئة من دون الله تعالى، للدّلالة على أنّ شأن معبودها، يبدأ أمره من رُتْبةٍ كائنةٍ في الأسفل.

الشّرك ضلال وسفالة وانحدار

فائدة استعمال مفردة ﴿دُونِ﴾:

عبّر النّظم الجليل بالظّرف ﴿دُونِ﴾، في قوله جلّ شأنه: ﴿وَصَدَّهَا مَا كَانَت تَّعۡبُدُ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ﴾، للدّلالة على خلوّ معبودها من صفات العلوّ والرّفعة، وأنّه كائن دون الملك الأعلى العظيم الّذي له الرّفعة والعلوّ والكمال، وفي ذلك بيان لرتبة السّبيلين، سبيل الله تعالى، وسبيل الشّيطان وأتباعه[1].

المعبود غير الله تعالى في رتبةٍ دونٍ سافلةٍ

فائدة ذكر لفظ الجلالة:

أورد النّظم الجليل لفظ الجلالة، في قوله جلّ شأنه: ﴿وَصَدَّهَا مَا كَانَت تَّعۡبُدُ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ﴾، للتّشنيع على سبيل الضّلال وعبادة غيره تعالى، فهو الملك ذي الجلال والعظمة، وفي ذلك تحقير لِما عبدوا من دونه.

الشّرك شَناعةٌ عظيمة لأنّه إعراض عن الملك الجليل

(1) البِقاعيّ، نظم الدُّرر: 14/ 170.

بلاغة جملة التّعليل ﴿إِنَّهَا كَانَتْ﴾:

الاعتذار عن سابق الضّلال بعد إظهار الإسلام

فَصَلَ النّظم الجليل الجملة في قوله جلّ شأنه: ﴿إِنَّهَا كَانَتْ مِن قَوْمٍ كَٰفِرِينَ﴾؛ لأنّها مستأنَفَةٌ استئنافًا تعليليًّا؛ فهي تعليل لسبب عبادتها غير الله تعالى، فالجملة تبيّن عذرها عن سبب التّأخّر في الإسلام، فهذه المرأة كانت من قوم كافرين، يعبدون الشّمس والأوثان منذ أزمان متطاولة، فلم يكن في مقدورها إدراك الإسلام وهي بينهم[1].

نكتة ذكر الفعل ﴿كَانَت﴾:

وراثة الكفر والشّرك ترسّخ الضّلال في وارثيه

عبّر النّظم الجليل بفعل الكون في قوله جلّ شأنه: ﴿إِنَّهَا كَانَتْ مِن قَوْمٍ كَٰفِرِينَ﴾ للدّلالة على "تمكّنها من عبادة الشّمس وكان ذلك التّمكّن بسبب الانحدار من سلالة المشركين، فالشّرك مُنْطَبِعٌ في نفسها بالوراثة، فالكفر قد أحاط بها"[2].

غرض تنكير لفظ ﴿قَوْمٍ﴾:

الكفر لا ينحصر في قوم سبأ، وهم قوم ذوو شأن كبير

آثر النّظم الجليل التّعبير عن القوم، بصيغة التّنكير، في قوله جلّ شأنه: ﴿إِنَّهَا كَانَتْ مِن قَوْمٍ كَٰفِرِينَ﴾، للدّلالة على أنّ الكفر لم يكن منحصرًا بهم، كما أنّه يدلّ على تفخيم شأن هؤلاء القوم، لما لهم من نعم جليلة.

بلاغة اختيار (الكفر) دون (الشّرك):

كفر النّعمة أكبر أسباب الشّرك

آثر النّظم الكريم، التّعبير بالكفر دون الشّرك في قوله جلّ شأنه: ﴿إِنَّهَا كَانَتْ مِن قَوْمٍ كَٰفِرِينَ﴾، لأنّ قوم سبأ قد أنعم الله تعالى عليهم بجليل النّعم فكفروها، بإعراضهم عن عبادة الله تعالى وحده، فعبّر بالكفر ذمًّا لهم بنكران المنعم، ونسيان حقّه بالتّوحيد، كما أنّ جحود النّعمة هو المسبِّب الأكبر لاتّباعِهم الشِّركَ وللزّيغِ عن الحقّ.

(1) طنطاويّ، التّفسير الوسيط: 10/ 329.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 19/ 274.

عِلَّةُ فصل ﴿قِيلَ﴾ عن السّابق:

تنكير العرش ليس الاختبارَ الوحيد

فصل النّظم الجليل الجملة في قوله جلّ شأنه: ﴿قِيلَ لَهَا ٱدۡخُلِي ٱلصَّرۡحَۖ﴾، لأنّها مُسْتَأْنَفَةٌ استئنافًا بيانيًّا، سيقت للإجابة عن سؤالٍ يثيرُه ذِكْرُ الاختبار بتغيير هيئة العرش، فكأنّه قيل: هل كان بعد ذلك اختبار؟ فقيل: نعم، طُلِبَ منها الدّخول إلى الصّرح[1].

نكتة ذكر ﴿لَهَا﴾ مع الأمر ﴿ٱدۡخُلِي﴾:

اقتصر طلب الدّخولِ على المَلِكَةِ على وجه الخصوص

علّق النّظم الجليل فعل القول بشبه الجملة، في قوله جلّ شأنه: ﴿قِيلَ لَهَا ٱدۡخُلِي ٱلصَّرۡحَۖ﴾، دون أن يقال: (قيل ادخلي الصّرح)؛ وذلك لتأكيد أنّ القول قد قيل لها هي نفسها، فالمقصود بالدّخول هي ذاتها، من غير مرافقيها.

غرض الأمر ﴿ٱدۡخُلِي﴾ في السّياق:

تعريف الملكة بمكان الدّخول للشّروع بعرض أعجوبة الصّرح

عبّر النّظم الجليل بفعل الأمر في قوله جلّ شأنه: ﴿قِيلَ لَهَا ٱدۡخُلِي ٱلصَّرۡحَۖ﴾، للدّخول في الصّرح الّذي بين يديها، وليس المرادُ منه الوجوبَ الّذي يأتي له الأمرُ عادةً، بل التّوجيه والدّلالة على ما عليها فعلُه، ضمن ما يجري في استقبال الملوك، والمراد من الأمر بدخولها الصّرحَ الشّروعُ بعرضِ آيةٍ أخرى عليها.

دلالة (أل) في لفظ ﴿ٱلصَّرۡحَۖ﴾:

عظمة الصّرح دلالةٌ على عظمة صاحبه

آثر النّظم الكريم تعريف الصّرح بالألف واللّام، في قوله جلّ شأنه: ﴿قِيلَ لَهَا ٱدۡخُلِي ٱلصَّرۡحَۖ﴾، لأنّه صرحٌ مرادٌ بعينه، وهو الصّرح الحاضر بين يديها[2]، وذكر المفسّرون أنّ الصّرح، هو القصر العالي المزخرف، وهو مُمَرَّدٌ أَيْ مَلْمَسُهُ ناعِمٌ، وله بريق، بسبب تَمْريده، وإزالة كلّ خشونة فيه، حتّى يظنّ الرّائي له لِشِدَّةِ تنسيقه، وكأنَّه لُجَّةٌ من الماء المتلألئ البرّاق، وهذا تطوّر عِمْرانيٌّ كبير، باعتبار ذلك الزّمن الحضاريّ السّحيق[3].

(1) البِقاعيّ، نظم الدُّرر: 14/ 170.
(2) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 6/ 289.
(3) أبو زهرة د، زهرة التّفاسير: 10/ 545.

نوع الفاء في قوله ﴿فَلَمَّا رَأَتْهُ﴾:

امتثال الأمر الرّشيد بلا تردّد من كياسة العقلاء

عبّر النّظم الجليل بالفاء في قوله جلّ شأنه: ﴿فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا﴾، وهي هنا للدّلالة على مبادرتها لامتثال الأمر وسرعة دخولها، وقد "روي أنّ سيدنا سليمان أمر الشّياطين قبل قدوم بِلْقيسَ، بأن يَحْفِروا على طريقها حُفَيرَةً، ويجعلوا سَقْفَها زجاجًا أبيضَ شفّافًا، يضعوا فيها ماءً وسمكًا، وضِفْدَعًا وغيرَ ذلك من حيواناتِ الماء، وصار الماءُ بما فيه كأنّه من هذا الزّجاج، فمَنْ أرادَ مجاوزتَه يَمُرُّ فوقَ السَّطح الّذي تحتَه الماءُ ولا يَمَسُّهُ الماء، ومَنْ لم يكنْ عالِمًا بحقيقةِ الأمرِ، يَظُنُّه ماءً مكشوفًا، ليس له سقفٌ يَمْنَعُ مِنَ الخوضِ فيه، ووضعَ سيّدُنا سليمانُ ﷺ سريرَه في صدر ذلك السَّطح، فَجَلَسَ عليه"[1]، وهذا المرويّ لم ترد به السّياقات القرآنيّة، ولكنّه نُقِلَ أخبارًا عند بعض المفسّرين.

نكتة استعمال ﴿رَأَتْهُ﴾ دون (نظرت إليه):

من الإبداع العِمرانيّ ما يأخذ بالأبصار، ويسلب العقول

آثر النّظم الكريم التّعبير بالرّؤية دون النّظر، في قوله جلّ شأنه: ﴿فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا﴾، لأنّها أدركته برؤيتها له بعينها، لا بالفكر والحواسّ الأخرى. قال ابن عاشور تعليقًا على مدلول الفعل ﴿رَأَتْهُ﴾: "وحكاية أنّها حَسِبَتْه لُجَّةً عند ما رأته؛ تقتضي أنّ ذلك بدا لها في حين دخولها، فدلّ على أنّ الصّرح، هو أوّل ما بدا لها من المَدْخل، فهو لا محالةَ ساحةٌ مُعَيّنةٌ للنُّزهة، فُرِشَتْ بزُجاجٍ شفّافٍ، وأُجْرِيَ تحتَه الماءُ، حتّى يَخالَه النّاظرُ لُجَّةَ ماءٍ"[2].

بلاغة اختيار مفردة ﴿لُجَّةً﴾:

بدا الصّرح لها غمرةَ ماءٍ عظيمةً، عُبِّرَ عنه باللُّجَّةِ

آثر النّظم الكريم التّعبير بلفظ اللّجّة دون غيره، في قوله جلّ

(1) سليمان الجمل، حاشية الجمل على الجلالين: 3/ 381.

(2) محمّد بن عمر نووي الجاويّ، التّفسير المنير لمعالم التّنزيل المُسفِرُ عن وجوهِ محاسن التّأويل المسمّى مَراحُ لَبِيد لكشف معنى القرآن المجيد: 2/ 177.

شأنه: ﴿فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا﴾، للدّلالة على أنّه قد بدا لها على أنّه غَمْرةُ ماءٍ عظيمةٌ، ومع أنّها كذلك لم تتردّدِ الملكة في خَوضِها إظهارًا لتمام الاستسلام[1].

وجه عطف الكشف عن السّاقين على الحسبان:

الحُسْبانُ أَوْزَعَها أَنْ تَرْفَعَ الثَّوْبَ خَشْيَةَ البَلَلِ

عطف النّظم الجليل كشف السّاقين على الحسبان في قوله جلّ شأنه: ﴿حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا﴾ للدّلالة على نتيجة ذلك الحسبان، تعبيرًا عن شدّة مفاجأتها، فَظَنُّها أنّه ماءٌ هو ما دَفَعَها لرفعِ ثوبِها خشيةَ البَلَلِ.

سرّ التّعبير بالكشف دون الرّفع:

الـكـشـف يـدلّ على تفاجُئِها بما رَأَتْ

آثر النّظم الكريم التّعبير بلفظ الكشف، دون الرّفع، في قوله جلّ شأنه: ﴿فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا﴾، ولم يقل: (ورفعت عن ساقيها)، باعتبار أنّ المرادَ رفعُ الثّوب اتّقاءَ البَلَلِ، لا أنّها ترمي إلى كشفِ ساقَيها. وإنّما آثرَ الكشفَ للدّلالة على أنّها تفاجأتْ، فهرعتْ إلى الكشفِ عن ساقيها من غيرِ أنْ تَتْتبهَ إلى أنّها أظهرَتْ ساقَيها، فالكشفُ يَدَلُّ على الغَفلةِ المُتَحَصِّلة من المفاجأة، بما رأتْ من الصّرح المُمَرَّد الّذي ظنَّتْه لُـجَّةَ ماءٍ.

نكتة حذف مفعول فعل ﴿وَكَشَفَتْ﴾:

حـذف المعلوم إيجازٌ في التّعبير عـلى قـاعـدة ما يُلْحَظ لا يُلْفَظ

حَذَفَ النّظمُ الجليل المفعولَ به للفعل (كشفَ)، في قوله جلّ شأنه: ﴿وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا﴾، فلم يقل: (وكشفَتْ ثَوبَها عن ساقيها)؛ لظهور المعنى، وللعلم به عُرْفًا وعقلًا، وذلك إيجازٌ في التّعبير يُغْنيهِ اللّحظُ عن اللّفظ.

نكتة ذكر ﴿عَن﴾ في السّياق:

عبّر النّظم الجليل بحرف الجرّ ﴿عَن﴾ الدّالّ على المجاوزة، في

(1) البِقاعيّ، نظم الدُّرر: 14/ 171.

كَشْفُ بِلْقيس عن السّاقين، لاتّقاءِ البَلَلِ، لا بِقَصْدِ الكَشْفِ المَهين

قوله جلّ شأنه: ﴿وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا﴾، للدّلالة على أنّ الكشف لم يكن القصدُ منه إظهارَ السّاقين، فظهورهما كان عَرَضًا لا قصدًا. فعبّر بذلك عن شدّة مفاجأتها بما رأت، فهي رَفَعَتْ ثَوبَها اتّقاءَ البَلَلِ من الماء، لا قَصْدًا لإظهارِ السّاقَين.

دلالة لفظ ﴿سَاقَيْهَا﴾:

بيان أنّ الغَمْرَةَ كانت عظيمةً، بحيثُ يبلغُ بَلَلُها السّاقَ

آثر النّظم الكريم التّعبير بلفظ السّاق في قوله جلّ شأنه: ﴿فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا﴾، وذلك للدّلالة على قوّة الكشف، وأنّه قد تجاوز مقدار القدمين، فقد تعدّى الكشفُ القدمينِ على التّمام، فتابَعَتِ الكشفَ حتّى أسفرت عن السّاقين.

دلالة إضافة السّاقين للضّمير في ﴿عَن سَاقَيْهَا﴾:

الكشف عن السّاقين، وقع حقيقة لا مجازًا

أضاف النّظم الجليل لفظ السّاقين للضّمير العائد إلى الملكة بِلْقيس، في قوله جلّ شأنه: ﴿وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا﴾، للدّلالة على أنّ الكشف وقع حقيقة لا مجازًا، فقد كشفت عن ساقيها حقيقة، وليس تعبيرًا عن شدّة الأمر؛ فإنّ التّعبير بكشف السّاق، يستعمل كذلك للدّلالة على المشقّة والشّدة مجازًا.

عِلَّةُ فَصْلِ ﴿قَالَ إِنَّهُۥ صَرْحٌ﴾:

بيان أنّ إعلان نظامِ الصّنع كان لتحقيقِ الإبهار

فَصَلَ النّظم الجليل الجملةَ في قوله جلّ شأنه: ﴿قَالَ إِنَّهُۥ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ﴾، لأنّها مُسْتَأْنَفَةٌ للإخبار عن عظيم علمه وعقله، وحكمته وقدرته[1]، تَهْيِئَةً لها لقبول الإسلام بالتّصريح بما لديه من جليل العلم الّذي ليس في وُسْعِ البشر، بل هو من الخالق الجليل.

نكتة التّوكيد بجملة ﴿إِنَّهُۥ صَرْحٌ﴾:

رُقيُّ العِمران علامةٌ على سُموِّ الإنسان

عبّر النّظم الجليل بالجملة الاسميّة المؤكِّدة، في قوله جلّ شأنه: ﴿إِنَّهُۥ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ﴾، للدّلالة على تعظيم عقله وعلمه، وحكمته

(1) البِقاعيّ، نظم الدُّرر: 14/ 171.

وقدرته، ولأنّه شديد الغرابة، بكونه حائلًا عن الماء[1]. قال ابن قتيبة: الصّرح بَلاطٌ اتُّخِذ لها من قوارير.. وأصله من التّصريح وهو الكشف.. وحكى أبو عبيدة في الغريب: إنّ الصّرح كلّ بناءٍ عالٍ مرتفع[2]، ووُرودُها بالصّيغة الاسميّة، أكثرُ دلالةً على اكتماله، من حيثُ دِقّةُ صنعِه، وعجيبُ ما أدهشَ النّظرَ فيه، ممّا عبّر عن الإبهار والإعجاب.

دلالة تنكير لفظ ﴿صَرْحٌ﴾ في الآية:

إبرازُ الصّرح في صورةٍ مدهشةٍ تعبيرٌ عن عَظَمَةِ المَشهد

آثر النّظم الكريم التّعبير عن الصّرح بصيغة التّنكير، في قوله جلّ شأنه: ﴿قَالَ إِنَّهُۥ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ﴾، وذلك لما في التّنكير من دلالةٍ على التّفخيم والتّعظيم، وجاء السّياق لتأكيد أنّه مُسَقَّفٌ بسطح من قوارير، فمن أراد مجاوزته لا يحتاج إلى تشمير ثيابه. والصّرح المُمَرّد هو المَحْكوك المُمَلَّس، والمُمَرّد أيضًا المُطَوَّل، ومنه قيل للحصن: مارِدٌ[3]، وكلّ ذلك التّوصيفِ المُدْرَج في المادّة والصّياغة إنّما ورد لإبراز العظمة.

بلاغة الوصف بقوله: ﴿مُّمَرَّدٌ﴾:

شـدّة النّـقاء، بسبب الجُهد المبذول في جَعْلِ الصّرحِ مُمَرَّدًا

وَصَفَ النّظم الجليل الصّرح بأنّه مُمَرَّدٌ بصيغة (مُفَعَّلٌ)، بتضعيف العين في قوله جلّ شأنه: ﴿قَالَ إِنَّهُۥ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ﴾، وذلك للدّلالة على شدّة المَلاسَةِ فيه، وقوّة الجُهد الّذي بُذِل فيه لتحقيقه.

دلالة ﴿مِّن﴾ في قوله: ﴿مِّن قَوَارِيرَ﴾:

بيان أنّ جنس الصّرح كائنٌ من قوارير

عبّر النّظم الجليل بحرف الجرّ ﴿مِّن﴾ في قوله جلّ شأنه: ﴿قَالَ إِنَّهُۥ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ﴾، وقوارير: جمع قارورة، والمراد بها هنا بيت الزّجاج، وقد استعمل السّياق لفظ ﴿مِّن﴾ في التّعبير عنه، وهي هنا بيانيّة، للدّلالة على حقيقة الصّرح، وبيان أصله ونوعه، وهو أنّه كائن من القوارير[4].

(1) البِقاعيّ، نظم الدُّرر: 14/ 171.
(2) القِنَّوجِيّ، فتحُ البيان في مقاصد القرآن: 10/ 48.
(3) القِنَّوجِيّ، فتحُ البيان في مقاصد القرآن: 10/ 49.
(4) البِقاعيّ، نظم الدُّرر: 14/ 172.

بلاغة اختيار مفردة ﴿قَوَارِيرَا۠﴾:

الصّرح مُمَلَّسٌ شديد اللَّمَعان، حتّى كأنّه يُرَى ماءً

آثر النّظم الكريم التّعبير بلفظ القوارير، في قوله جلّ شأنه: ﴿قَالَ إِنَّهُۥ صَرۡحٞ مُّمَرَّدٞ مِّن قَوَارِيرَا۠﴾، لأنّ القارورة إناء يُظهِر للرّائي ما فيه، وهي من أسماء الزُّجاج[1]، فعبّر بذلك عن كونه شديد المَلاسَة، بحيثُ يظنّه الرّائي ماء، وإنّما هو زجاج.

عِلَّةُ فَصْلِ جملة ﴿قَالَتۡ﴾:

إظهارُ الآيات للملكة أفضى بها إلى الإسلام لله تعالى

فَصَلَ النّظم الجليل الجملة، في قوله جلّ شأنه: ﴿قَالَتۡ رَبِّ إِنِّي ظَلَمۡتُ نَفۡسِي﴾، لأنّها مُسْتَأْنَفَةٌ واردة في سياق المحاورة، فيُغْني رَبْطُ السّياق عن إيراد حرف العطف، فالجملة جوابٌ عن قول سليمان، بأنّ هذا صرحٌ مُمَرَّد[2]. فلمّا رأت تلك الآياتِ العظيمةَ، والنِّعمَ الجليلةَ على سليمان، أيقنت أنّها على باطل، وأنّها ظلمت نفسها بصدّها عن الله تعالى.

دلالة النّداء بقولها ﴿رَبِّ إِنِّي﴾:

مناجاةُ المولى لونٌ مِنَ الاسترحامِ والإنابة

عبّر النّظم الجليل بالنّداء في قوله جلّ شأنه: ﴿قَالَتۡ رَبِّ إِنِّي ظَلَمۡتُ نَفۡسِي﴾ للدّعاء وإظهار الإنابة وإعلان الأَوْبَةِ طلبًا للرّحمة والغفران. وجاء الخطاب مع الرّبّ تعالى إشارةً إلى سابق الإحسان، طمعًا في قبول الحادث من التّوبة بالإسلام.

نكتة حذف أداة النّداء:

الله تعالى قريب من عبده إذا تاب وأناب

آثر النّظم الكريم، حذف أداة النّداء في قوله جلّ شأنه: ﴿قَالَتۡ رَبِّ﴾، فلم تقل: (يا ربّي)؛ للدّلالة على القرب والتّعجّل بالدّعاء، وأنّ الله تعالى لا يُحْوِجُه أداة تنبيهٍ ليُقْبِلَ على عبده، وهو مضمونُ قولِه تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌۖ أُجِيبُ دَعۡوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِۖ﴾ [البقرة: 186].

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 19/ 276.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 19/ 277.

نكتة التّوكيد بقوله: ﴿إِنِّي﴾:

أكّد النّظم الجليل الجملة في قوله جلّ شأنه: ﴿إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي﴾، بكونها اسميّةً مع تصديرها بحرف التّأكيد (إنّ)، للدّلالة على تقويَة الخبر، وتأكيد الاعتراف الّذي أقرّت به.

تـوكـيـدُ الـخـبرِ بالإقرارِ لسليمانَ واضحٌ في البيان

بلاغة التّعبير بالظّلم دون الضّلالة:

آثر النّظم الكريم، التّعبير بلفظ الظّلم دون الضّلال، في قوله جلّ شأنه: ﴿قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي﴾، اعترافًا منها بأنّها كانت على باطل، وأنّها قد ظلمت نفسها بعبادة الشّمس من دون اللّه[1]، والاعتراف بالظّلم يدلّ ضمنًا على التّنويه بالضّلال، فهي ظلمت نفسها بسبب كونها على الضّلال، فالظّلم نتيجةٌ للضّلال.

الـظّـلـم نتيجةٌ عـن الـضّـلال، وهـو يـدلّ عليه ضِمْنًا

دلالة إضافة النّفس إلى ضمير المتكلّم:

أضاف النّظم الجليل النّفس إلى ضمير المتكلّم، في قوله جلّ شأنه: ﴿إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي﴾، للدّلالة على الإقرار على النّفس، وتَحَمُّلِ اختيارها، لمتابعة الباطل الموروث، وهي في هذا مُقِرَّةٌ بضلالِ ما كانت عليه من عبادة غير اللّه، إذْ كانت تعبد الشّمس، وقيل في معنًى آخرَ: إنّها ظلمت نفسها بالظَّنِّ الّذي توهّمته في سليمان، لأنّها ظنّت أنّه أراد تغريقها في اللّجة، وقد أظهر الواقع عكس ذلك، والأَوَّلُ أَوْلَى[2].

الـــشّـــرك والعصيان أكبرُ ظُـلْـمٍ للنّفس يطال الإنسان

براعة عطف ﴿وَأَسْلَمْتُ﴾، على الاعتراف بالظّلم:

عَطَفَ النّظم الجليل جملة إعلان الإسلام، في قوله جلّ شأنه: ﴿وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ﴾، على جملة الاعتراف بالظّلم، في قوله جلّ شأنه: ﴿إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي﴾، لأنّها لمّا علمت أنّ سليمان صادق في دعواه، وأنّه مُؤَيَّدٌ من اللّه تعالى، واعترفت بأنّها ظلمت نفسها

التّـخـلـيَـةُ مِـنَ الباطلِ تَتْبَعُها التَّحْليَةُ باتّباعِ الحقّ

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 19/ 276.
(2) القِنَّوجِيّ، فتحُ البيان في مقاصد القرآن: 10/ 49.

في اتّباع مُعْتَقَدِ قومها الباطل، فكان هذا يمثّل المرحلة الأولى في سُلَّمِ الاعتقاد، وهي رتبة التَّخْلِيَةِ؛ درجت إلى ما بعدها، وهي رتبة التَّحْلِيَةِ، فأعلنت الإيمان والإسلام[1].

نكتة ذِكْرِ المَعيَّة في قولها: ﴿مَعَ سُلَيْمَٰنَ﴾:

اتّباع الدّاعي على دعوته اعترافٌ بسلامةِ مِنْهَجِهِ

عبّر النّظم الجليل بكلمة ﴿مَعَ﴾ في قوله جلّ شأنه: ﴿وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾، للدّلالة على أنّها اعترفت بفضل سليمان، وأنّها أعلنت الاقتداء به ومتابعتَه[2].

نكتة تقديم ﴿مَعَ سُلَيْمَٰنَ﴾ في السّياق:

إعلان الدّين المتّبع وإظهاره تصريحٌ بالإخلاص في المقْصِد

قدّم النّظم الجليل، ذكر مَعيَّة سليمان، على الإسلام لله تعالى، في قوله جلّ شأنه: ﴿وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾، وذلك لبيان أنّها اتّبعت دين سليمان، ثمّ أتبعته ببيان مقصدها، فهو كائن لله تعالى، وليس لأحد سواه[3]. فبيّنت الدّين الّذي ستتّبعه، ثمّ بيّنت الغاية من ذلك والدّافع له، وهو أنّها أسلمت لله، وخضعت له، فيكون ذلك الخضوع على وفْقِ مَنْهَجِ سليمانَ ودينِه.

نكتة الالتفات من الخطاب إلى الغيبة:

تعظيم المولى بإيراد عَلَم الجلالة (لله)

التَفَتَ النّظم الجليل من صيغة المخاطبة، في قوله جلّ شأنه: ﴿رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى﴾، إلى صيغة الخطاب بالاسم الظّاهر الدّالّ على الغيبة، في قوله جلّ شأنه: ﴿وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾، دون أن تقول: (وأسلمتُ لك)؛ فالتفتت إلى الاسم الجليل، تعظيمًا له ﷻ، ولإظهار معرفتها بألوهيّته، واستحقاقِه الإسلامَ والخضوعَ والعبادةَ[4].

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 19/ 276.
(2) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 6/ 289.
(3) طنطاويّ، التّفسير الوسيط: 10/ 330.
(4) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 6/ 289.

بلاغة الجمع بين عنوان الألوهيّة والرّبوبيّة:

الجمع بين الوصفين إقرارٌ بجميع صفات الجمال والجلال

جمع النّظم الجليل، بين لفظي الرّبوبيّة والألوهيّة، في عبارة واحدة في قوله جلّ شأنه: ﴿وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾، للدّلالة على الصّفات الموجِبَة للعبادة، بداعي الإحسان المُتَأَتّي من صفة الرّبوبيّة، وهي صفة جمال، ومن الجلال المُتَأَتّي من الألوهيّة، فجمعت بين الوصفين للإقرار له تعالى بالوحدانية[1].

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

النّظر والرّؤية:

النّظر إدراكُ المطلوب استشافًا واهتداءً بالبصيرة، والرّؤية إدراكُه عينًا بالبصر

النّظر طلب الهدى، والشّاهد على ذلك قَوْلهم: نظرت فَلم أرَ شَيْئًا. والنّظر طلب ظُهور الشَّيْء، وذلك بإدراكه من جِهَة حاسّة بصره وغيرها من حواسه. والنَّظَر أَيْضا هوَ الفِكر والتَّأَمُّلُ لأحوال الأشياء. والرّؤية هيَ إدْراك المَرْئيّ[2]، والنَّظر: الإقبال بالبصر، نحو المَرْئيّ، ولذلك قد ينظر ولا يراه، ولذلك يجوز أن يوصف ربُّ العزَّةِ بأنّه راءٍ، ولا يقال: إنّه ناظر. وفيه نظرٌ[3]. كما قيل: إنّ الأصل في الرّؤية أن تكون بالحاسّة، وهي العين الباصرة، الّتي هي إحدى الجوارح، وبها ينظر الإنسان إلى الأشياء، ومثالها في القرآن قوله تعالى: ﴿لَتَرَوُنَّ ٱلْجَحِيمَ ۝٦ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ ٱلْيَقِينِ ۝٧﴾ [التّكاثر: 6 - 7]، وقد تكون بالتّخيّل والتّصوّر، فتكون غير حسيّة، وذلك نحو قوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُواْ عَلَى ٱلنَّارِ﴾ [الأنعام: 27]، وقد تكون بالتّفكّر، نحو قوله تعالى ﴿إِنِّيٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ﴾ [الأنفال: 48]، وقد تكون بالعقل، فتُدرَك باستعماله، وهي رؤية معنويّة جليلة، وذلك نحو قوله تعالى ﴿مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ۝١١﴾ [النّجم: 11][4].

(1) البِقاعيّ، نظم الدُّرر: 14/ 172 - 173.
(2) العسكريّ، الفروق، ص: 75 - 76.
(3) العسكريّ، الفروق، ص: 544.
(4) محمّد إسماعيل عَتُّوك، فروقٌ لغويّة بين الرّؤية والنّظر، موقع البيان، نُشِرَ بتاريخ: (29) سبتمبر، 2006م، على الشّابكة.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الأربعون،
سورة النَّمْلِ من الآية 26 إلى سورة القصص الآية 20
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الأربعون، سورة النَّمْلِ من الآية 26 إلى سورة القصص الآية 20
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 40 ، 804 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-732-90-7
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 40 : المجلد الأربعون، سورة النَّمْلِ من الآية 26 إلى سورة القصص الآية 20.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-732-90-7
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-9294238 بتاريخ 2024/12/16م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»